حديقة السوسن

لحضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي

(تابع لما قبل)

— ٣ —

قد يتوهم بعض الناس ان الحقوق التي اشرنا اليها في الفصل الاول انما يراد بهـا مضارعة المرأة للرجل ومحاكاتهُ بكل وظيفة وواجب وعمل ومشاركتهُ في جدهِ واقدامهِ ومساعيهِ لكسب المال واحراز المجد سواءٌ كان من حيث الانتظام في سلك العمال ومزاولة الصنائع والحرف العامة من مثل الطب والصيدلة والذود عن حقوق ذوي الشأن امام القضآء او الدخول في مجالس الامة كنواب والتصدُّر في الندوات السياسية كقهارمة البلاد وحُداة العروش وبالجملة مزاحمة الاناث للذكور بالمناكب في جميع فروع الحيـاة القومية والمجتمع البشري فلا يُفرقن عنهم في شيء خلاف المظهر الانثوي البادي للابصار . كلا ثم كلا . ما هذا المراد من قولنا « حقوق المرأة » وان كان كثيرٌ من الخلق المتمدن بل معظمهُ يزعم ان جميع تلك المعدودات مندمجٌ ضمن حقوق النسآء

ومما يقضي بالعجب ان فريقاً من الكتبة الذين يقيمون انفسهم مقام هُداة الامم ومنوّري البصائر ومثقفي العقول ومهذبي العوائد يعتقدون هذا الاعتقاد جهلاً او يتظاهرون به تزلفاً الى افئدة من احبوا من الحسان الفواتن آخذين على انفسهم وظيفة الدفاع عن هذا الجنس اللطيف وهم

لا يدرون انهم لهُ قاتلون . فيعدّدون هذه الامور تعداداً مموّهاً كثير الزخرف والتنميق ثم يعترضون على عدم اباحتهـا للمرأة قائلين بوجوب المساواة التامة بين الجنسين مادّة ومعنى يحسبون انهم يحسنون صنعاً وهم مفسدون . وما زال هذا دأبهم حتى جزمت نسآء اوروبا واميركا بل قسم من نسآء الشرق ايضاً ان ما يزعمونهُ حقٌّ وعدل وان العمل بمقتضاهُ نافعٌ لهنَّ لازمٌ لحياتهنّ موجبٌ لاسعادهنّ مع كونهِ سمّاً ناقعاً اذا مازج دم المجتمع الانساني ذهب بحياتهِ العمرانية آجلاً او عاجلاً الى عالم الضياع وعادت العواصم الزاهرة والمدن الفخيمة اطلالاً داثرة وبلاقع . فاصبحنا نرى من جرّآء سريان ذلك الوهم في الاذهان ألوفاً بل مئات الوف من النسآء طبيبات وتاجرات ومحاميات وموزّعات بُرُد ومأمورات مراسلة بالبرق والتليفون وخادمات مطاعم وبائعات خمور في الحانات[1] ولم يزلنَ يتطاولنَ الى كل عمل من اعمال الرجال ابتغآء مساواتهم واللحاق بهم في كل الشؤون والاحوال العائدة اليهم ولا نعلم اين يكون المصير

(١) اثبتت صحيفة نيو يرك هرلد احصآء اتضح منهُ انهُ يوجد في البلاد المتحدة وحدها من النسآء ٢٤٣٧٢٢ عاملة في حرَف مختلفة و٤٢٧ دكتورة و٢٤٣٢ خادمة بريد وتلغراف و٢١٧ صيدلية و٣١٦٤٩ بائعة خمور و١٧٣ تاجرة و١٦ محامية عن الحقوق و٧١ منشئة في الجرائد و٨٩ مراسلة اخبار و٢١٤ كاتبة في دوائر الحكومات ومصالحها . وقد ابيح في كثير من حكومات اميركا للنسآء التصدر في الدوائر العمومية كاعضآء بعد ان اجيز لهنّ مشاركة الرجال في الانتخابات الى غير ذلك مما يثبت تهافت الاناث على محاكاة الذكور . ثم ثبت من احصآء اخير ان في واشنطون وحدها ثمانية آلاف مستخدمة في دوائر الحكومة

فلو درت المرأة بما ورآء مناظرتها للرجل وطلب مساواتها لهُ في المجتمع ومشاركتها اياهُ في الاعمال الخاصّة به من التعب والشقآء فضلاً عما يترتب عليهِ من سقوط منزلتها السامية في المجتمع الانساني وضياع سلطتها المعنوية التي بها تقوم حياتها الادبية لعدلت عن مطامعها المتطرفة وعرفت انها مخدوعة بما تصوّرهُ لها امیالها وما يزينهُ لها الذين يغرونها من جهلة الرجال ولأيقنت انها تحاول نيل ما يعود عليها بالنقص من حيث تروم الكمال . لان مساواة النسآء للرجال من هذا القبيل غير طبيعية ومتعذرة بل مستحيلة وكما ان الرجال لا يستطيعون ان يفوا الوظائف الطبيعية والمنزلية الخاصة بالنسآء كذلك يستحيل على هؤلآء ان يقمن مقام الرجال بتأدية وظائفهم المنحصرة فيهم بمقتضى نواميس الاشيآء التي وضعها المُبدع . ولقد ضلّ من قال انهُ لو لم تُحبَس المرأة باستبداد الرجل وتمنع عن مشاركتهِ منذ البدء في جميع اعماله لكانت الآن مساويةً لهُ في بسطة الجسم واشتداد القوى والاقتدار على الجهاد في ميادين الجد في جميع الامور التي استأثر بها الرجل دونها بحيث يكون غير ممتاز عنها بشيء

الا ترى كيف ان الحيوانات من الطبقة العالية (١) المشاركة للانسان جسماً وتركيباً والمحاكية لهُ احساساً وغريزة والمتماثلة معهُ في التماس القوت والافتراس وطلب الملاذ والجهاد في سبيل حفظ النوع ودوام البقآء —

(١) يراد بها الحيوانات الثديية او اللبونة ذات الفقرات الظهرية من مثل الاسد والفرس والفيل والهرّ . وما الانسان من حيث هو حيوان الا نوع من هذه الانواع المعدودة

مع انها مطلقة السراح ذكوراً واناثاً وتتحمل عنآء تحصيل الغذآء بالسوآء وتروّض اجسامها وتلهو وتمرح على نمطٍ واحد فالذكور منها على الاطلاق اكبر اجساماً من الاناث واكثر قوةً مع ان جهادهما منذ بدآءة الخلق في ميدان الحياة واحدٌ ولا يستبدّ الذكر بانثاهُ ولا يحتبسها تحت حُجُبٍ ووراءَ جدران كما كان الرجال ولا يزالون يفعلون بالنسآء . وكفى بهذا دليلاً على ان المرأة لا يمكن ان تساوي الرجل بسطةً او تماثلهُ قوةً مهما أُعطي لها من حرية الاطلاق في التصرف والارادة في العمل

أَجَلْ انما تماثلهُ في الطبع والاميال والمدارك والاخلاق متى تيسرت لها معدّات المماثلة وتُرك لها ما هو جديرٌ بها من الحقوق والحرية والتعلُّم فهي والحالة على ما اوردنا تستطيع ان تشاكلهُ معنويًّا وادبيًّا مع بقآء الفارق حسًّا ومادّةً ومن مارانا في ذلك احلناهُ على المشتغلين بالبحث في طبيعة الانسان ووظائف اعضآئهِ الفطرية فهم أولى منا باقناعهِ بما لديهم من البراهين التي لا يسعنا نقلها في هذا المقام

تحصّل من هذا ان المرأة لم تُخلَق لتعمل عمل الرجل كما ان الرجل لم يُخلَق ليعمل عمل المرأة فان صانع الاكوان ومهندسها العظيم قد خص بحكمتهِ كلا من الجنسين بوظائف محدودة ومستقلة عن وظائف الآخر لكي يتم بذلك التعاون بينهما ويكمّل كلٌّ منهما نقص صاحبهِ فتنتظم الحياة ويستتب قيام النوع ونمآؤهُ وان زال الحدّ الفاصل بين ما لهما وماعليهما يصبحان خصمين متناظرين لا اليفين متعاونين . وما من عاقل يشكُّ انهُ اذا لبثت النسآء تزاحم الرجال وتدافعهم بالسواعد قصد مشاركتهم

في كل شيءٍ يكنّ سبباً لخراب نظام الامم وتداعي قواعد بنآء العمران وبالتالي سبباً اوليًّا لانقراض الجنس البشري

هذه حقيقة راهنة متى عرفها الناس كما هي بذلوا النفوس كدًّا وجدًّا لاصلاح الخلل الطارئ من جرّآء السلوك على خلافها فان حركة الخواطر الشاغلة ادمغة العالم الانثوي في هذه السنين المتأخرة تتهدّد المجتمع الانساني بالويل والدمار مما سنورد عليك ادلتهُ بالبيان الواضح (ستأتي البقية)

المنّ

نكتب هذا الفصل اجابةً لصديق بعث الينا بقطعة من المنّ اهداها لهُ بعض اصحابه السيّاح يسألنا عن تركيبها وهل هي المنّ الاسرائيلي الذي ورد ذكرهُ في التوراة . وهي مادّة شبيهة بالصمغ قواماً ومنظراً الا انها متخاخلة القوام خشنة المكسر ولا لزوجة فيها يشوبها شيءٌ من الخضرة لما يخالطها من فتات ورق النبات وفي طعمها حلاوة قليلة

والمنّ كلمةٌ عبرانية وهي في الاصل اسمٌ للمادّة التي كان بنو اسرائيل يلتقطونها من البرّية . قال في سفر الخروج (ص ١٦) ما محصّلهُ انهم اصبحوا في احد الايام فرأوا على وجه الصحرآء شيئاً دقيقاً مكتّلاً كالجليد على الارض فلما رأوهُ قال بعضهم لبعض منْ هو اي ما هو فسُمّي بالمنّ . وهذا اللفظ يُطلَق اليوم على عدة موادّ سكّرية تفرزها بعض انواع الشجر كالطَرْفآء والبلوط والخِطامي وغيرها وهي من عصارة ذلك الشجر تخرج منهُ خروج الصمغ على اثر مرور بعض الهوامّ عليهِ وكدحها